رمضان الصباح
العدد 1627 - السنة السادسة
الخميس 23 رمضان 1434 - الموافق 1 اغسطس 2013
Thursday 1 August 2013 - No.1627 - 6th Year

يقدم لنا القرآن الكريم في سياق قصص الأنبياء مجموعة من أفراد المملكة الحيوانية التي لعبت دورا في التاريخ كغراب ابني آدم وناقة صالح وطير إبراهيم وذئب يوسف وحوت يونس وبقرة بني إسرائيل وعصا موسى وهدهد سليمان ونملة سليمان ودابة الأرض وحمار عزيرٍ وكلب أهل الكهف وفيل أبرهة والطير الأبابيل وعنكبوت الغار وعلى إمتداد أربعة عشر قرنا بقيت هذه المجموعة من قصص الحيوان غارقة في الظل .. حتى إنحنى عليها الكاتب الإسلامي والفنان أحمد بهجت فجعل من هذه المجموعة أبطاله لكتابه قصص الحيوان في القران

إعداد: محمد محسن عفيفي

قصص الحيوان في القرآن الكريم

ناقة صالح .. معجزة ربانية أذهلت المعاندين فعقروها

ذكر المفسرون أن ثمود اجتمعوا يوما في ناديهم، فجاءهم رسول الله صالح فدعاهم الى الله، وذكرهم وحذرهم ووعظهم وأمرهم، فقالوا له: ان أنت أخرجت لنا من هذه الصخرة، وأشاروا الى صخرة هناك ان أنت أخرجت لنا منها ناقة من صفاتها كذا وكذا وذكروا أوصافا فأسموها ونعتوها وتفننوا فيها، وأن تكون عشراء طويلة.(قصص الأنبياء لابن كثير).

فقال لهم صالح عليه السلام وهو يعرفهم ويعرف طباعهم: أرايتم ان أجبتكم الى ما سألتم على الوجه الذي طلبتم، أتؤمنون بما جئتكم به وتصدقون ما أرسلت به؟

كان شرط صالح عليه السلام واضحا لاجدال فيه، فهم يطلبون ناقة تخرج من صخرة أمامهم، عشراء طويلة، بكل الأوصاف التي طلبوها، وهذ الأمر في حدود تفكير البشر مستحيل، وقد طلبوه خصيصا لأنه مستحيل وظنوا أنهم بطلبهم المستحيل هذا يعجزون صالح. هكذا وصلت حدود البشر ولا حدود لهم تتجاوز هذا الأمر.

أمّا صالح عليه السلام فقد استوثق منهم العهد ووضع الشرط وهو على يقين دائم بأن الله سبحانه عز وجل لن يخذله ابدا، ولم يتطرّق الى تفكيره أن ما يطلبونه مستحيل بل هو يسير على الله عز وجل فليطلب من ربه المعجزة اليسيرة على الله سبحانه، المستحيلة في ظنهم. وانتظر القوم، وجهزوا سخريتهم عندما يعجز صالح عن الاتيان بناقة تخرج من هذه الصخرة التي أشاروا اليها وهذا مستحيل في ظنّهم وعرفهم ويقينهم. اتجه صالح عليه السلام الى ربه، وقام الى مصلاه فصلى لله عز وجل ما قدّر له أن يصلي، واتجه في خشوع وايمان الى ربه بالدعاء، فطلب من ربه أن يجيبهم الى ما طلبوا، فكان منه الدعاء ومن الله الاستجابة. استجاب الله عز وجل فأمر سبحانه جلّ شأنه تلك الصخرة التي أشاروا اليها أن تنفطر عن ناقة عظيمة عشراء على الوجه والشروط التي وضعوها، أو على الصفة التي نعتوا.

كانت الناقة آية ومعجزة من معجزات الله، لأن الآية هي المعجزة، ويقال أن الناقة كانت معجزة لأن صخرة في الجبل انشقت يوما وخرجت منها الناقة وخرج وراءها وليدها الصغير، وولدت من غير الطريق المعروف للولادة، ويقال انها كانت معجزة لأنها تشرب المياه الموجودة في الآبار في يوم فلا تقترب بقية الحيوانات من المياه في هذا اليوم، وقيل انها كانت معجزة لأنها كانت تدر لبنا يكفي الناس جميعا في اليوم الذي تشرب فيه الماء فلا يبغي الناس منه شيعا.

كانت هذه الناقة معجزة، ووصفها الله سبحانه وتعالى بقوله:﴿ ناقة الله﴾. هود 64.

لقد أضافها الله لنفسه سبحانه عز وجل بمعنى انها ليست ناقة عادية وانما هي معجزة من الله. نعود الى صالح عليه السلام بعد أن بيّنا كيف كانت الناقة آية ومعجزة.

انفطرت الصخرة عن الناقة، وظهرت لهم مع وليدها. فلما عاينوها كذلك رأوا أمرا عظيما، ومنظرا هائلا، وقدرة باهرة، ودليلا قاطعا، وبرهانا ساطعا فآمن كثير منهم، واستمرّ أكثرهم على كفرهم وضلالهم وعنادهم.

قال لهم صالح عليه السلام: ﴿ ويا قوم هذه ناقة الله لكم آية فذروها تأكل في أرض الله ولا تمسّوها بسوء فيأخذكم عذاب قريب﴾.

وأصدر الله أمره الى صالح أن يأمر قومه بعدم المساس بالناقة أو ايذائها أو قتلها، أمرهم أن يتركوها تأكل من أرض الله، وألا يمسوها بسوء، وحذرهم أنهم اذا مدّوا أيديهم بالأذى للناقة فسوف يأخذهم عذاب قريب.

وقد أدهشت الناقة قوم ثمود في البداية، فقد كانت ناقة مباركة وكان لبنها يكفي آلاف الرجال والنساء والأطفال، وكانت اذا نامت في موضع هجرته كل الحيوانات الأخرى، كان واضحا أنها ليست مجرّد ناقة عاديّة، وانما هي آية من آيات الله.

وعاشت الناقة بينهم، فآمن منهم من آمن وبقي أغلبهم على الكفر والعناد. وكان رئيس الذين آمنوا رجل يقال له: جندع بن عمرو بن محلاة وكان من رؤسائهم وأشرافهم. قصص الأنبياء لابن كثير.

وهمّ بقيّة الأشراف بالدخول في دين صالح الا أن رجلا يقال له ذؤاب بن عمر ورجل آخر اسمه الحباب كان صاحب أصنامهم نهياهم عن ذلك. ولما حذرهم صالح عليه السلام من أن هذه ناقة الله فلا يمسوها بسوء أبدا، تحسّروا على أن تبقى بين أظهرهم، ترعى حيث شاءت من أرضهم وترد الماء يوما بعد يوم، وكانت اذا وردت الماء تشرب ماء البئر يومها ذلك، فكانوا يرفعون حاجتهم من الماء في يومهم المخصص لهم ليشربوها في اليوم التالي يوم الناقة، ويقال أنهم كانوا يشربون من لبنها كفايتهم، ولهذا قال:﴿ لها شرب ولكم شرب يوم معلوم﴾.

وكانت الناقة فتنة لهم واختبارا عظيما لايمانهم ليرى ايؤمنون بها أم يكفرون؟ والله أعلم بما يفعلون.

وقد قال الله عز وجل لصالح:﴿ فارتقبهم﴾ أي انتظر ما يكون من أمرهم ﴿ واصطبر﴾ على أذاهم فسيأتيك الخبر على جليّة. وقال له عز وجل: ﴿ ونبئهم أن الماء قسمة بينهم كل شرب محتضر﴾. ورغم أنه كان واضحا أنهاليست مجرد ناقة عادية، وانما هي آية ومعجزة من معجزات الله، رغم ذلك تحوّلت الكراهية عن سيدنا صالح الى الناقة المباركة!! تركزت عليها الكراهية، وبدأت المؤامرة تنسج خيوطها ضد الناقة.. كره الكافرون هذه الناقة العظيمة، وهذه الآية المعجزة، كرهوا ناقة الله وآية الله العظيمة، ودبّروا في أنفسهم أمرا. وقد كان طبيعيًا أن يجيء التدبير السيء من رؤساء القوم. وقد ذكر المؤرخون وعلماء التفسير(الطبري في تاريخه): أن امرأتين من ثمود اسم احداها «صدوقة» ابنة المحيا بن زهير المختار، وكانت ذات حسب ومال، وكانت تحت رجل مسلم آمن بصالح ففارقته وتركته، فدعت ابن عم لها يقال له «مصرع» بن مهرج بن المحيا، وعرضت عليه نفسها ان هو عقر الناقة، واسم الأخرى «عنيزة» بنت غنيم بن مجلز، وتكنى أم غنمة أو أم عثمان وكانت عجوزا كافرة لها بنات من زوجها ذؤاب بن عمرو أحد الرؤساء فعرضت بناتها الأربع على قدار بن سالف، ان هو عقر الناقة فله أي بناتها شاء، أي واحدة منهن يرغبها. فابتدر وانتدب هذان الشابان لعقرها وسعيا في قومهم بذلك، فاستجاب لهما سبعة آخرونفصاروا تسعة. وهم المذكورون في قوله تعالى: ﴿وكان في المدينة تسعة رهط يفسدون في الأرض ولا يصلحون﴾. وسعوا في بقيّة القبيلة قبيلة ثمود وحسّنوا لهم قتل الناقة وكان لهم مجلس كبير. فلما سقط الليل على مدينة ثمود. وانتصبت الجبال شامخة تحتضن البيوت المنحوتة فيها، وبدا واضحا للكافرين أن أحدا لا يمكن أن ينالهم بسوء. وفي داخل أحد القصور اضيئت المشاعل، وجلس الكفار وقد دارت عليهم كؤوس الشراب وهم شبه دائرة. كل رؤساء القوم حضروا هذه الجلسة الخطيرة. انعقدت الجلسة ودار بينهم حوار طويل. قال أحد الكافرين:﴿ ابشرا منا واحدا نتبعه انا اذا لفي ضلال وسعر﴾ القمر 24. وقال آخر:﴿ أءلقي الذكر عليه من بيننا بل هو كذاب أشر﴾. القمر 25. وعادت الكؤوس تدور وانتقل الحوار من صالح الى ناقة الله. قال أحد الكافرين: اذا جاء الصيف جاءت الناقة الى ظل الوادي البارد فتهرب منه المواشي الى الحر. وقال كافر آخر: واذا جاء الشتاء بحثت الناقة عن أدفأ مكان واستراحت فيه فتهرب مواشينا الى البرد وتتعرض للمرض. وأصبح الجميع في سكر كامل وكؤوس الشراب تدور وهي تهتز في أيدي الشاربين، وأمر أحد الجالسين أن تكف المغنية عن الغناء حتى يستطيع أن يفكر.. وصمت الجميع.

ثم قطع هذا الرجل السكّير صمت الحاضرين بقوله: ليس هناك غير حل واحد.

قالوا وما هو؟

قال: نقتل الناقة، ثم بعدها نقتل صالحا. وبدأ الحاضرون في الحديث عن صالح بقول السوء فقال أحدهم: كم نتشاءم منه ونتطيّر، ومن ناقته ومن كل الذين آمنوا معه. انه حل واحد نقتل الناقة، ثم نثني عليه، طرح اسم القاتل، انه رجل جبار من جبابرة المدينة، رجل يعبث في الأرض فسادا ولا يكف عن شرب الخمر والويل لمن يعترضه وهو مخمور، وله أعوان يساعدونه على القتل. ويستطيعون أن يكونوا أداة للجريمة ويختاروا مكان التنفيذ بأنفسهم.

ليلة المأساة

وجاءت ليلة الغدر، كانت الناقة المباركة تنام وهي تضم لصدرها طفلها الصغير الذي استدفأ بها، واستعدّ المجرمون التسعة لجريمتهم وعلى رأسهم قدار بن سالف. لعنه الله، وخرجوا من جوف الظلام وفي نفوسهم الخيانة، وكان زعيمهم قدار بن سالف قد شرب كثيرا من الخمر، حتى لم يعد يرى ما أمامه وهجم الرجال التسعة على الناقة فنهضت واقفة ونهض طفلها فزعا، وامتدت الأيدي القاتلة اليها للقضاء عليها، وكان أوّل من سطا على الناقة هو قدار بن سالف، فعرقبها أي ضربها في عرقوبها فسقطت على الأرض، ثم ابتدروها بأسيافهم يقطعونها فلما رأى ذلك طفلها، شرد عنهم فعلا الى الجبل هناك ورغا ثلاث مرات. ولما علم صالح عليه السلام بما حدث خرج غاضبا على قومه، وقال لهم: ألم أحذركم أن تمسوا الناقة.

قالوا: قتلناها فائتنا بالعذاب واستعجله لنا ألم تقل لنا انك من المرسلين؟

فقال لهم صالح عليه السلام:﴿ تمتعوا في داركم ثلاثة أيام ذلك وعد غير مكذوب﴾ هود 65. أي غير يومهم ذلك.

فلم يصدقوه أيضا في هذا الوعد الأكيد، بل انهم لما أمسوا هموا بقتله وأرادوا، فيما يزعمون أن يلحقوه بالناقة، فاقسموا أن يهجموا عليه في داره فيقتلوه ولكن الله حمى نبيّه صالحا عليه السلام منه ونجاه. وقال الله عز وجل:﴿ قالوا تقاسموا بالله لنبيّتنه وأهله ثم لنقولنّ لوليه ما شهدنا مهلك أهله وانا لصادقون﴾. النمل 49.

وأصبحت ثمود اليوم الأوّل من أيّام النظرة الثلاثة التي انظرهم بها صالح ووجوههم مصفرّة، فلما أمسوا قالوا: ألا قد مضى يوم من الأجل ثم أصبحوا في اليوم الثاني من أيّام التأجيل، ووجوههم محمرّة وفي الثالث من أيّام المتاع اسودّت وجوههم.

فلما أمسوا قالوا: ألا قد مضى الأجل. وليس هناك شيء من العذاب. وفي فجر اليوم الرابع انشقت السماء عن صيحة جبارة، انقضت الصيحة على الجبال فهلك فيها كل شيء حي، وارتجفت الأرض رجفة جبّارة فهلك فوقها كل شيء.

هلكوا جميعا في صرخة واحدة، أما الذين آمنوا بسيّدنا صالح فكانوا قد غادروا المكان مع النبي صالح عليه السلام ونجاهم الله.

الجمل سفينة الصحراء يستعيد الماء من الهواء الذي يتنفسه بـ «التكثيف» ويحول دون خروجه

الجمل هو حيوان من رتبة شفعيات الأصابع، من فصيلة الجمليات. يشتهر بالكتلة الدهنية على ظهره التي تسمى السنام. ويسمى شعر الجمل بالوبر. الجمال (أو الإبل) على نوعين:

الجمل العربي: وله سنام واحد، ويعيش بمناطق شمال أفريقيا والصحراء الكبرى والشرق الأوسط.

الجمال ذات السنامين، التي تعيش في منطقة آسيا الوسطى. وقد يطلق مصطلح الجمل على أشباه الجمال من فصيلة الجمليات، متوسط الحياة للجمل هو 30 إلى 40 سنة. وطول الجمل كامل النمو هو 1.85 م (6 أقدام وبوصة) عند الأكتاف و2.15 م (7 أقدام وبوصة) عند السنام. يرتفع السنام لحوالي 76 سم (حوالي 30 بوصة) عن الجسم. وتصل سرعة الإبل إلى 65 كيلومتر في الساعة (40 ميل في الساعة)، ويمكنها أن تستمر على سرعة 40 كم/ساعة (25 ميل في الساعة).والجمل حيوان سريع الانقياد ينهض بالحمل الثقيل ويبرك به.

أنواع الإبل

هي: الأرحبية والشذقمية والعبدية والمجدية والشدنية والمهرية. يغار الجمل على إناثه، فهو لايسمح لأحد برؤيته أثناء التزاوج مع أنثاه، وإن أحس بوجود من يتجسس عليه ورآه فإنه يثأر لعرضه بقتل ذلك الشخص .

اسماء الجمل

الجمل (والجمع الإبل) يطلق على الذكر من الجمال، ويقال للأنثى ناقة والجمع نوق. ومن الألقاب التي يلقب بها: العيس والشملال واليعملة والوجناء والناجية والعوجاء والشمردلة والهجان والكوماء والحرف. يعرف الجمل بسفينة الصحراء وذلك لتكيفة مع المعيشة على جدب الصحراء من حيث قلة العشب والماء. وأسماء الإبل الأصيلة كثيرة منها: ضَبعان، عَرفان، شَعلان، غُزلان، وأم طويلع، وأم رموش، والخَطلة، ونورا وغيرهم. ويقال لمن عمره ستة شهور ويرضع أمه: حوار، ولمن عمره سنة ويأكل ويشرب: مخلول، ولمن عمره من سنة إلى سنتين: مفرود، ولمن عمرة من من سنتين إلى ثلاثة وبدأ يحمل الأثقال: حق (بكسر الحاء)، ولمن كان عمره أربع سنوات جذع (بكسر الجيم)، ولمن عمره من خمس إلى ست وبدل الزوج الأول من قواطع أسنانة فهو: ثني، ولمن بدل الزوج الثاني من قواطع أسنانة فهو: رباع، ولمن بدل الزوج الثالث من قواطع أسنانة فهو: سداس، والناقة الفاطر هي الناقة التي وضعت أكثر من خمس مرات وتعتبر كبيرة العمر.

التكيف مع الطبيعة

تكيف الجمل على أكل الأشواك والعاقول وكذلك تكيفت معدته. أما السنام فهو المكان الطبيعي لتخزين الدهون المتحولة من فائض غذائه، ولكن لا يخزن الجمل الماء في السنام كما هو الاعتقاد الشائع. كذلك تكيفت عيون الجمل للرؤية مع وجود الغبار، وأرجله بها أخفاف مناسبة للسير على الرمال بما لها من مساحة سطحية واسعة. للجمل قدرة عجيبة على تحمل المعيشة في الصحراء حيث ارتفاع درجة الحرارة وقلة الماء والغذاء. ومن قدرة الله عز وجل أن جعل الجمل ذو أذن صغير غزير الشعر حتى لا تتعرض لضرر رمال الصحراء. والعين مزودة بصفين من الرموش الطويلة للوقاية من الحصى والرمال المتطايرة. والأرجل مزودة بخف أسفنجي لين ليتمكن بهما من السير على الرمال الناعمة، والسنام يختزن فيه الدهون ليقوم بحرقها خلال عملية التنفس حيث تتحول الدهون إلى طاقة تمدة بأحتياجاته في فترة الحرمان من الطعام والمعروف أن الدهون تحتوى على طاقة أعلى بكثير من الطاقة المخزونة في الكربوهيدرات في صورة نشا أو جليكوجين. والجمل العربي ذو سنام واحد ضخم ويعيش في الوطن العربي وأفريقيا وشبه القارة الهندية. أما الجمل ذو السنامين فهو يستوطن آسيا الوسطى حيث يكون الشتاء باردا فهو مكسو بمعطف شتوي يقيه برد الشتاء. وأرجله قصيره في حين أرجل الجمل العربي طويلة لتبعدة عن حرارة الرمال ما أمكن ذلك.

الجمل له قدرة عجيبه على تحمل العطش بسبب قدرته على تحمل نقص الماء في أنسجة جسمه، وأنه من خلال ذلك لا يفقد الماء من سائله الدموي إلا بنسبة ضئيلة للغاية. كما أنه يتحمل فقد الماء حتى 30% في حين أن باقي الكائنات الحية تهلك إذا زاد فقد الماء من أجسامها عن 20%. وبول وبراز الجمل لذلك مركز جداً حيث يمكن إيقاد النار في روثه مباشرة وهو يختلف عن معظم الكائنات الثديية التي تفقد نسبة من الماء الموجودة في دمائها إذا تعرضت لظروف بيئية شديدة الحرارة، لذلك فالجمل يحتاج كميات من الماء تقل كثيرة عن تلك التي تحتاجها باقي الكائنات.

أنف الجمل عجيبة العجائب، فهي مجعدة كبيرة من الداخل فتقوم بعمل المكثف فتكثف بخار الماء الخارج مع هواء الزفير فيخرج ثاني أكسيد الكربون ويتكثف بخار الماء، وبذلك تحول دون خروجه. وبذلك فهو الحيوان الوحيد الذي يستعيد الماء الموجود في الهواء الذي يتنفسه.

الجمل لا يعرق إلا إذا ارتفعت درجة حرارة الجو المحيط به عن درجة 42م، أما الحرارة الزائد فيفقدها أثناء الليل، فقد علم ذلك العربان لذلك كانوا ينامون بجوار الجمال ليتدفئوا بالحرارة المنبعثة منها ليلاً. ويقوم الجمل برفع درجة حرارة جسمه نهارا حتى درجة 41.7م متمشياً مع حرارة الجو المحيط به حتى لا يعرق، عندئذ يبدأ في إفراز العرق ليلطف درجة حرارة جسمه إن زادت درجة حرارة الجو المحيط عن 42م.

الجمل له القدرة على شرب ماء البحر حيث أن الكلى عنده تخلصه من الأملاح الزائدة. ويشرب بغزارة حوالي 18 لتر ماء إذا عطش، دون أن تتأثر كرات الدم لأن الله خلقها بيضاوية ولم تخلق كروية كسائر الكائنات فعندما تمتلى كرات الدم بالماء تنتفخ وتصبح كروية دون أن تنفجر.يحتفظ الجمل بالبول في المثانة طالما أنه في حاجة إلى الماء، حيث يمتص الدم الماء والبول مرة أخرى ويدفعه إلى المعدة لتقوم بكتريا خاصة بتحويل البوليتا إلى أحماض أمينية أي إلى بروتين وماء. خف الجمل مخزن للماء فهو وسادة مائية فتعمل أنسجة الخف على حفظ الماء في صورة سلاسل تلتف كالجديلة، كلما زاد الماء المخزن زاد التفاف الجديلة والعكس وعند الحاجة إلى الماء يقوم الدم بامتصاص الماء من الخف وتنفك الجديلة.

اللحم

لحم الجمل ينصح بتناوله لراغبي الريجيم أو التخسيس الغذائي وهو الأقل ضرراً على القلب نظراً لضآلة نسبة الدهون فيه مقارنة مع اللحوم الحمراء الأخرى. إن لحم الجمل يتميز بأن ألياقه خشنة وعريضة ومرتبطة ببعضها بعضا بنسيج ضام كثيف لا يوجد فيها دهن مختلط بالعضلات. وينصح بتناول لحم الجمل لمن يطبقون الريجيم الغذائي للتخسيس، ويرغبون في تقليل مستوى الكوليسترول في الدم، نظراً لوجود حامض اللينوليك فيه وجود الاحماض الدهنية غير المشبعة في لحم الجمل تقلل أيضا من احتمالات الإصابة بأمراض القلب المختلفة، حيث وجد ان هناك ارتباطا واضحا بين الإصابة بهذه الأمراض وزيادة تناول الاحماض الدهنية المشبعة في دهون لحوم الأبقار والجاموس والخراف والماعز، لحم الجمل دهونه أقل من الجاموس والأبقار.

وحليب النوق هو حليب ذو مواصفات عالية الجودة، ويعتبر غذاءاً كاملاً للبدو وسكان الصحراء.